الترجمـــة وثقـافة النور والتنـــوير

أكثر شباب العالم العربى لايكاد يعرف الأفكار العالمية

د . عاطف العراقى

أود أن أشير فى البداية إلى أننى إذا كنت أدعو إلى الاهتمام إهتماماً لأحد له بالترجمة وأربط بين الترجمة من جهة ، وثقافة النور ، أو عصر التنوير فى جهة أخرى ، فإن هذا لا يعنى اغفال كتب تراثنا ، اغفال ثقافتنا الأصيلة فى الماضى ، إذ لن تكون لنا شخصيتنا الواضحة المتميزة إلا إذا حافظنا على تراثنا وفى نفس الوقت إنفتحنا على ثقافات الأمم الأخرى ، سواء كانت ثقافات شرقية قديمة على النحو الذى وجدناه فى الهند والصين واليابان وغيرها فى الأمم ، أو كانت ثقافات غربية حديثة ومعاصرة .

من العار ان نحارب الترجمة بحجة ان مؤلفيها من بلاد الفرنجة

إننى أعتقد من جانبى اعتقاداً لا يخالجنى فيه أدنى شك ، أن ثقافة النور ، أو عصر التنوير لا يمكن تصوره بدون الاهتمام بالترجمة فى جميع المجالات ، علمية وأدبية وفكرية فلسفية .

وإذا أردنا لأنفسنا مواصلة التيار الذى ظهر فى مصر بصفة خاصة منذ ما يقرب من قرن من الزمان ، كما ظهر فى بعض بلدان العالم العربى ، إذا أردنا مواصلة ما انقطع ، أردنا التمسك بثقافة النور والتنوير ، فلا مفر من الاتجاه بكل قوتنا نحو الترجمة ، الترجمة الدقيقة الواعية .

أليس من المؤسف له أن أكثر شباب العالم العربى لا يكاد يعرف معرفة دقيقة التيارات والأفكار العالمية . عار علينا أن يقوم البعض منا وفى هذه البلدة العربية أو تلك ، بشن الحملات الضارية على الترجمة ، بحجة أن مؤلفى الكتب التى نطالب بترجمتها ، من بلاد الفرنجة ، والعياذ بالله !!!

إنه لمن المضحك والمؤسف معاً أن نرى دول العالم تتجه بكل قوتها نحو الترجمة والاستفادة من الأفكار الموجودة فى دول أخرى ، ونجىء نحن ونتغافل عن الترجمة وأهميتها ودورها فى إثراء حياتنا الفكرية وصياغة وجودنا الأدبى والفلسفى .

غير مجدٍ فى ملتى واعتقادى شن الحملات الضارية على الترجمة ، شن الحملات الهوجاء على المؤلفين الغربيين ، بحجة أن التراث يكفى . هل ياترى يريد المهاجمون لعلوم الغرب ، أن نقف فى مجال الطيران على سبيل المثال ، عندما فعله عباس بن فرناس حينما ركَّب أجنحة لنفسه من الريش وحاول الطيران ، وكان حتماً لا بد أن يسقط .

هل من المعقول أن نتباكى ونقول إن مؤلفات أدبائنا لم تتم ترجمتها بعد ، ونقوم فى نفس الوقت بإهمال ترجمة التراث الفكرى الأجنبى ؟ هل من المعقول أن نجد حتى الآن كتباً تعد غاية فى الأهمية لم تترجم بعد ؟ إننا نجد كتباً تركها لنا كبار المفكرين والفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وبرترلند راسل لم تترجم بعد على نحو دقيق وأمين ، بل نجد أمهات الكتب العالمية فى الفكر الحديث والمعاصر ، لم يسمع عنها شباب الجيل الحالى ، جيل التليفزيون ، إلا مجرد الأسماء ، أسماء تلك الكتب ، وذلك دون أن يعرف ما فيها من أفكار تعد غاية فى الثراء ، غاية فى الدقة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب كبار المفكرين كأفلاطون وراسل لم تترجم بعد

لا بد من القول بصراحة وموضوعية أن كتب التراث فى مجال الفلك والطب وغيرهما من مجالات ، قد اعتمد مؤلفوها فى العصر الوسيط على ما استفادوه من أفكار من البلاد الأجنبية الأخرى ، فهل من المعقول أن نجىء نحن اليوم ونقلل من أهمية الاطلاع على أفكار الأمم الأخرى .

★ الترجمة ـ محت تقدمنا كعرب ★

إننى أقولها بصدق وصراحة : إن أكثر الفلاسفة والعلماء فى بلاد العرب نفسها ، لم يكونوا من أصل عربى ، بل إن واضع النحو العربى نفسه لم يكن عربياً . وهذا يؤدى بنا إلى القول بأننا لن نتقدم خطوة واحدة فى مجال التنوير والتقدم إلى الأمام ، إلا إذا اتجهنا بكل ما نملكه من وقت وجهد ومال ، اتجهنا إلى الترجمة ، ترجمة أفكار مفكرى الغرب . أنظروا إلى دولة كاليابان ، هل وصلت إلى ما وصلت إليه إلا عن طريق التعرف على أفكار الغرب وعلوم الغرب وتطبيقاتها التكنولوجية . إن الغرب الآن وبكل صراحة هو سيد العالم فى مجال العلم والفن والفكر والفلسفة ، ومن يطلب منا عدم الاتجاه إلى الترجمة فوقته ضائع عبثاً . وإذا زعم أنه يريد لنا الصعود ، يريد لنا التقدم ، فإننى أعتقد من جانبى أن الصعود هذا يعد صعوداً إلى الهاوية ، التقدم هذا يعد تقدماً إلى الخلف أو إلى الوراء .

من الطبيعى إذن أن نؤمن بأهمية الترجمة ونسعى بكل قوتنا إلى التعرف على أفكار الآخرين أولاً بأول . إن هذا هو الأمر الملائم والمناسب . والتقليل من أهمية الترجمة لا يعد إذن معبراً عن الواقع ، عن الشىء الطبيعى ، بل هو أمر مصطنع وصناعى ، كأطفال الأنابيب .

إن من أهم مزايا الترجمة ، أننا من خلالها نطلع على أفكار أمم وشعوب غيرنا ، وسواء اتفقنا معهم أم اختلفنا ، فلا بد لكى نحدد أسباب الاتفاق أو الاختلاف ، أن نعرض أولاً لأفكارهم وبعد ذلك يكون من حقنا أن نتفق أو نختلف . أما أن نهاجم لمجرد الهجوم ، نهاجم دون التعرف على حقيقة أفكار الأمم الأخرى ، فإن حالنا سيكون كحالة من يسير فى مظاهرة لا لأنه يعرف الهدف من قيامها ، بل لأنه رأى مجموعة من الناس يسيرون فيها ، فيكون بذلك مقلداً لهم ، مجرد مقلد .

لقد دعانا رفاعة الطهطاوى إلى أهمية التعرف على أفكار الغرب ، وقبله بقرون عديدة دعانا فلاسفة كبار إلى أهمية التعرف على أفكار الأمم الأخرى . دعانا الكندى إلى أن نطلب الحقيقة كحقيقة أى بصرف النظر عن مصدرها ، أى سواء كانت عربية أو كانت غربية غير عربية . تماماً كما نقول أطلبوا العلم ولو فى الصين . دعانا ابن رشد اخر فلاسفة العرب إلى أن نبادر إلى الاطلاع على أفكار الأمم الأخرى ، وما كان منها صواباً قبلناه منهم ، وما كان منها ليس بصواب نبهنا عليه . أليست هذه دعوات تعد غاية فى الأهمية ، دعوات بلغ من أهميتها أنها تهدينا إلى الطريق الصواب ، الطريق السليم ، الطريق الذى يؤدى بنا إلى أن نأخذ مكانتنا بين الأمم المتحضرة .

إننى أقول فى حسم وتأكيد : ليس لدينا الآن فكرٌ عالمىٌ ، لا يوجد لدينا فن عالمى ، ولا أدب عالمى ، وفلاسفة عرب معاصرون ، فهل من المعقول أن نغلق على أنفسنا الأبواب بحيث لا نطلع إلا علىٰ فكرنا ؟ أى فكر هذا الذى تنادون بالاقتصار عليه . إنه ليسَ فكراً من قريب أو من بعيد . الفكر يسادة مكانه الآن فى الغرب إلى حد كبير ، فاتجهوا إلى الغرب بكل ما أوتيتم من قوة . وإذا لم نتجه إلى فكر الغرب نأخذ منه ما نأخذ ونرفض منه ما نرفض ، فلن نكون جديرين بالبقاء بين الأمم ، لن نتخطى وضعنا كدولة نامية ، إلى أن نصبح دولة متقدمة ، سوف ننتهى إلى الدمار والفناء . ومن العجيب أننا نأخذ فى ندب حظنا ولطم خدودنا لأننا لا نحصل على جائزة عالمية كجائزة نوبل ، ولا نضع فى اعتبارنا أن التقصير قد يكون من جانبنا نحن ، تماماً كالطالب الذى يرسب فى الامتحان ، ويلقى بخطئه على أسباب وهمية غير حقيقية وبحيث لا يذكر السبب الحقيقى فى رسوبه والذى يتبلور حول التقصير من جهته هو ، لا من جهة الآخرين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com